التكامل المعرفي بين السيميائية والتفكيكية في التجربة النقدية الجزائرية

–عبد المالك مرتاض أنموذجا–

The Cognitive Integration between Semiotics and Deconstruction in the Algerian Critical Experiment

Abdul-Malik Murtath as an example

سارة كسيبي*

جامعة محمدخيضر،بسكرة، (الجزائر) sara.kecibi@univ-biskra.dz

د. علي بخوش

جامعة محمد خيضر،بسكرة،(الجزائر) a.bekhouche@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2020/08/20 تاريخ القبول: 2020/12/01 تاريخ النشر:24 /2020/12

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة ظاهرة التكامل بين المناهج النقدية، لمقاربة، وتحليل الخطاب الأدبي، من خلال تجربة عبد "المالك مرتاض" النقدية، التي حاول فيها المزج، والتركيب بين التحليل السيميائي والتفكيكي. ونظرا لأهمية هذا الموضوع الذي أثرى الحقل النقدي، وخصب روافده حاولنا الكشف عن مستويات التحليل الإجرائي التي بنى عليها الناقد مقاربته، و عرض المشاكل النظرية، والتطبيقية التي يعاني منها المنهج التكاملي في الصرح النقدي العربي.

كلمات مفتاحية: التكامل المعرفي–السيميائية– التفكيكية– عبد المالك مرتاض– التجربة النقدية.

Abstract: The present research paper attempts to address the phenomenon of integration between the critical methods to approach and analyze the literary discourse through the experience of Abdul Malik Murtadd's criticism, which tried to mix the synthesis between semiotic and deconstructive analysis. Given the importance of this topic, which enriched the monetary field, we tried to reveal the levels of applied analysis on which the critic built his approach, and to show the theoretical and practical problems faced by the integrated approach in the Arab monetary space.

Keywords: cognitive integration - semiotics - deconstruction - Abdul Malik Murtad - critical experience

***المؤلف المرسل**: سارة كسيبي، **الإيميل**، sara.kecibi@univ-biskra.dz

1 .مقدمة:

خصب تنوع المناهج وآليات المقاربة الدرس النقدي العربي تنظيرا وإجراء، فقد أسهمت هذه المناهج في توسيع أفق القراءة والتأويل للنصوص الإبداعية بمختلف أشكالها، وعندما أصبح النص الإبداعي المعاصر معقد التركيب متشابك المسالك استعصى على الناقد الالتزام بآليات منهج واحد لسبر أغواره والكشف عن مكنوناته، فلجا النقاد، ومنهم عبد المالك مرتاض في كثير من مؤلفاته النقدية إلى الدمج بين منهجين أو أكثر لمقاربة وتحليل الخطابات الإبداعية، فكان الهدف الأساس من هذه الدراسة هو تسليط الضوء عن مواطن الالتقاء بين مناهج تحليل الخطاب في المنجز النقدي : "أ–ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟" و "ألف ليلة وليلة –تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد–" والكشف عن آليات المقاربة النقدية التي انتهجها النقاد سواء في المشهد الشعري أو في المتن الحكائي السردي.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع حاول البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات التي أثارت فينا رغبة البحث والمعرفة، وتتمثل أهمها في ما يأتي:

-هل يؤدي دمج المناهج النقدية أثناء التحليل إلى إلغاء خصوصية كل منهج؟

-كيف وازن عبد المالك مرتاض بين مناهج تحليل الخطاب في منجزيه النقديين؟

اقتضت طبيعة الدراسة اختيار المنهج الوصفي التحليلي لإرساء دعائم هذه الورقة البحثية، وتتبع حيثياتها، وتبيان السلم التطبيقي الذي، اعتمد عليه عبد المالك مرتاض في منجزيه النقديين، والمستويات الإجرائية التي ارتكز عليها تحليله للمشهد الشعري في قصيدة "أين ليلاي" و المنجز السردي "لحكاية حمال بغداد".

2.التكامل والتداخل النقدي من أجل مقاربة شمولية للخطاب:

ينتج فعل القراءة من خلال تعاضد الأدب مع النقد، ولا شك أن هذه هي النقطة الأولى والبذرة الأساسية التي تكوّن منها الفكر التكاملي في النقد، فلا يمكن تصور خطاب دون مقاربة، ولا النقد دون عمل فني يثير في النقاد رغبة البحث والتحليل، إلا أن ظاهرة التكامل لها جذور في الفكر الفلسفي الذي كان يبحث في مجال المعرفة بمختلف روافدها، فجمع بين العلمي والإنساني، والفني والأدبي لتحليل الظواهر وتفسيرها بغية الوصول إلى الكوامن الباطنية التي تتشكل منها.

ويلتبس مصطلح التكامل مع مجموعة من المصطلحات التي تحوم حول المفهوم نفسه، ويعدّ مصطلح التداخل من أكثر المصطلحات تشابكا مع التكامل سواء في الحقل الإجرائي أو التنظيري، لذلك وجب علينا الفصل بين المفهومين في بعدهما اللغوي والاصطلاحي، فقد ورد في "لسان العرب" في مادة (د خ ل) أن:« الدخول نقيض الخروج [...] تداخل الأمور تشابهها والتباسها ودخول بعضها مع بعض»[1] أما التكامل فيشتق من الجذر اللغوي (ك م ل) وورد في المصدر نفسه و"كتاب العين" في المادة نفسها « كمل الشيء يكمل كمالا»[2]، والتكامل من التمام والاتصال بعد الانفصال، «وقيل التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه»[3] وأصبحت فروعا منه.

نستنتج أن التداخل يقتضي المشابهة أو التشابه بين علمين أو أدبين، أو فنين في نقطة أو مجموعة من النقاط فيتعاضدان مع بعضهما لفك اللبس عنها و فهمها فهما شموليا من كلتا الناحيتين، أي من وجهة نظر العلم (أ) ووجه نظر العلم (ب)، أما التكامل فلا يقتض المشابهة وإنما هو جمع بين مجموعة من العلوم لتفسير ظاهرة ما، وقد «سمحت لمتخصصين كثر بمغادرة حياة التخصص الراكدة، إلى مياه حقل تداخلي جديد جارية ومتغيرة، وأصبح البحث العلمي الجماعي، والتداخلي هو السبيل الأساسي لتحقيق الإبداع.»[4]

تعد فكرة التكامل المعرفي وافد جديدا في الصرح العربي المعاصر، وهي من الرؤى الفكرية التي ما تزال قيد الإجراء والمعالجة خصوصا بعد تخبطها في مأزق الترجمة وتعدد المصطلح وإن كانت له بعض الإرهاصات عند العرب القدماء، فقد دعا كل من ابن رشد والغزالي« إلى تكامل المعرفة، وإن كان الغزالي يرى التكامل في البنية المعرفية نفسها (Integrrality)، في حين يراها ابن رشد في حاجة العلوم إلى بعضها بعضا(Complementarity) »[5] أما في الفكر الغربي فانطلق التأسيس للفكر المتكامل «من خلال مقولة الداخل والخارج، أو مقولة الذات والموضوع، فقد أرد الفكر الرومنسي منذ أواسط القرن التاسع عشر دحض المقولة الكلاسيكية التي طالما كانت تفصل الداخل عن الخارج، وتضع حدودا صارمة شبيهة بالحدود التي تضعها بين العقل والعاطفة،

فترى أن الداخل هو كل ما يتحكم في الأعماق»[6]، وكانت هذه النظرية عاجزة عن فهم الأدب -على سبيل المثال- فالمنجز الأدبي هو تعبير متصل بطرق مباشرة أو غير مباشرة بدواخل الكاتب ومحيطه، ولا يمكن تفسير الأدب تفسيرا اجتماعيا أو عاطفيا أو نفسيا فقط، وإنما ينبغي على الناقد الحصيف بفكره الرسين تتبع بناء تكوينه لفهم مكنونه، لبلوغ جوهره بالجمع بين داخله وخارجه، وقد سماه إدغار موران (Edgar Morin) بالتعقيد أثناء حديثه عن الفكر المركب وينطلق في عرض رأيه من السؤال الآتي: «ما هو التعقيد؟ من أول وهلة نقول: إن التعقيد هو نسيج [...] من المكونات المتنافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التفريق بينها؛ إنه يطرح مفارقة الواحد المتعدد »[7] ويوجد التعقيد «في قلب العلاقة بين البسيط والمعقد؛ لأن مثل هذه العلاقة هي علاقة صراعية وتكاملية في الوقت ذاته»[8] لتحقيق معرفة وتحرير العقل من منهاج الفصل بينهما، إذ لا يمكن بلوغ الحقيقة إلا من خلال الجمع بين النقائض والمكونات المتنافرة، فلا يمكن الفصل بين الليل والنهار -مثلا- لأنهما يشكلان معا دينامية وسيروة للحياة.

لقد ارتبط مصطلح التكامل أول الأمر بـ« الاقتصاد والعمل في إطار مقاولات المال والأعمال، مما جعل الغايات النفعية والتداولية للمفهوم بارزة »[9]، ثم استعمل بعد ذلك في مجال النقد والعلوم الإنسانية ليدل على تكامل المناهج لتشريح النص، ودراسته دراسة شاملة دون إغفال جوانبه الداخلية والخارجية، ويعرفه يوسف وغليسي على أنه: «ضرب مختلف من ضروب النقد، لا يتقيد بمنهج واحد خلال العلمية النقدية، بل يستعين بجملة من المناهج التي يقتضيها الطابع التركيبي المعقد للنص الأدبي»[10] ، وقد عرف هذا المنهج رواجا كبيرا في الصرح العربي، ورحب كثير من النقاد العرب أمثال السيد قطب في كتابه الموسوم بـ:"النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)" وشوقي ضيف في كتابه المعنون بـ:"البحث الأدبي (طبيعته،مناهجه، أصوله، مصادره" ، وشكري فيصل في كتاب سماه: "مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي".

3. علاقة المنهج بالخطاب من منظور "عبد المالك مرتاض":

يشكل الخطاب بمختلف بناياته مادة دسمة تشرح قلب النقاد لسبر أغواره، والبحث في ثناياه،ل فهما وجهان لعملة واحدة يكملان بعضهما، ويضمنان استمرا لبعضهما، من خلال جدلية الإنتاج والقراءة، وإتباع نهج نقدي ييسر على الناقد تشريح النص واستكناه دلالاته، وتقصي مكنوناته، وقد تناول عبد المالك مرتاض جدلية العلاقة بين الخطاب والمنهج، إذ تشكل هذه الجدلية إحدى المشاكل العويصة التي تواجه الباحثين، أو النقاد أثناء ممارستهم النقدية فيقعون في حيرة السؤال الآتي: هل النص هو الذي يحيلنا إلى اختيار المنهج؟ أم المنهج هو الذي يفرض وجوده على سلطة النص؟

ومن خلال المنجزين النقديين المنتخبين "دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة" و "ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد" سنبين رأي النقاد حول هذه المسألة، مقسمين إياه إلى:

1.3 . رأي الناقد في المناهج النقدية التقليدية والمعاصرة:

يتضح لنا من خلال بنية العنوان أن الناقد قد سلك سمتا مغايرا بعض الشيء في تحليل البنية الشعرية والمتن الحكائي السردي، حيث عمد في منجزيّه إلى الدمج بين منهجين اثنين؛ وكله أمل في فهم النص فهما شموليا، بالاستفادة «من النظريات الغربية القائم كثير منها على العلم، كما نفيد من بعض التراثيات، ونهضم هذه وتلك ثم نحاول عجن هذه مع تلك، عجنا

مكينا، ثم بعد ذلك نحاول أن نتناول النص برؤية مستقلة مستقبلية»[11] قائمة على الدمج بين الأصالة والمعاصرة، في تحليل النصوص التراثية والحداثية؛ لأن المنجز الخطابي الشعري والسردي سريع التبدل، كثير التحول من حقبة إلى حقبة زمانية أخرى.

كما تعرض الناقد أثناء حديثة عن المناهج النقدية وعلاقتها بالنص إلى المنهج التكاملي، إذ نراه لا يعتد بهذا المصطلح ولا يسلّم به فيقول: « وأولى لنا أن نشد منهجا شموليا، ولا أقول منهجا تكامليا؛ إذ لم نر أتفه من هذه الرؤية المغالطة التي تزعم أن الناقد يمكن أن يتناول النص بمذاهب نقدية مختلفة في آن واحد»[12] ؛لأن تلكم القراءة ستفقد النص جماليته، وتقل روح التجدد فيه وتقحمه في غياهب المجهول واللا معقول، إذ يركز الناقد على النص و يسعى للحفاظ عليه باعتباره كائنا حيا له جسد ورح، وإذا ما أرهقناه بالمنهج التكاملي فإننا سنقع في مغالطة نقدية نطعن بها قلب النص وجوهره، «ومن العبث تناول الايديولوجيا وحدها، أو الجانب الجمالي وحده، أو الجانب التقني وحده فالروح إذا فصل عن الجسد تعفن بالفناء، فلتكن إذن نظرتنا إلى النص الأدبي نظرة شمولية ما استطعنا إلى هذه الشمولية سبيلا»[13]

2.3 –كيفية اختيار المنهج استنادا على رأي "عبد المالك مرتاض":

يقوم اختيار المنهج عند" عبد المالك مرتاض" على مجموعة من المرتكزات التي يراها لبنة أساسية لانتقاء المنهج لتحليل ومقاربة الخطاب، منطلقا من «مراعاة النص في شموليته، بحيث نتناوله شكلا ومضمونا، بدون محاولة فصل أحد القطبين عن الآخر فصلا اصطناعيا؛ كما يجيء ذلك الدارسون التقليديون. ذلك بأنهما ينتجزان دفعة واحدة؛ فكيف يجوز فصلهما، بالاستغناء عن أحدهما؟»[14] حيث لا تتأت استقامة جسد النص إلا من خلال الجمع بينهما.

من النقاط الأساسية التي يرتكز عليها الناقد أيضا في اختيار المنهج الجدة والتوازن بين ما هو غربي وعربي، وعدم التعصب للقديم، من حيث المنهج أو النص، ويدعو من الاستفادة «من النظريات الغربية القائم كثير منها على العلم، كما نفيد من بعض التراثيات، ونهضم هذه مع تلك، ثم نحاول عجن هذه مع تلك عجنا مكينا، ثم بعد ذلك نحاول أن نتناول النص برؤية مستقبلية مستقلة»[15] من منظور قرائي خاص، «ويمكن الانطلاق من المضمون إلى الشكل، كما يمكن الانطلاق من الشكل إلى المضمون»[(16)] ،فهما كالروح للجسد، لا يمكن الفصل بينهما أو فهم أحد دون حضور الآخر.

3.مستويات التحليل في المنجزين النقديين المنتخبين:

1.3 – في كتاب:"دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة":

اشتمل المنجز النقدي "دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي" على فاتحة، وتمهيد تناول فيهما الناقد علاقة المنهج بالنص، وعلاقة الشكل بالمضمون، ليعرض بعد ذلك جدلية الحداثة والمعاصرة في تحليل الخطاب، وينير بعضا من المسائل النظرية للمنهجين السيميائي والتفكيكي، ثم انتقل إلى دراسة بنية القصيدة لدى محمد العيد آل خلفية في الفصل الأول، ليحدد مدار الدراسة التطبيقية في الفصل الثاني الذي وسمه بـ: طبيعة البنية في نص أين ليلاي، ليركز اهتمامه في الفصل الثالث على مخاض النص، أما الفصل الرابع فتناول فيه الحيز الشعري، ثم الزمن الشعري ليختتم دراسته بالتركيب الإيقاعي وخاصيته في قصيدة "أين ليلاي".

2.3 – في كتاب:"ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد":

تنطلق الممارسة النقدية الإجرائية لحكاية "حمال بغداد" التي انتهج فيها الناقد سبعة مستويات للتحليل والمقاربة، وصدّر تحليله في المستوى الأول بدراسة الحدث، فقسمه إلى سبعة أقسام هي: الحدث المحظور والمسحور والمكذوب والغامض، والمفاجئ، واتسام الحدث بالعنف، والمجهض، واتسام الحدث باللين والميوعة.

أما المستوى الثاني فتطرق فيه إلى عالم الشخصية في "ألف ليلة وليلة" عموما، وحكاية الحمال خصوصا، فقسمها إلى: شخصيات تاريخية، و خرافية أسطورية، وتنقسم بدورها إلى قسمين خيرة وشريرة، وشخصيات متخلية فخمة وأخرى أدنى منزلة منها، ليقوم بعدها بحساب تواتر ظهور الشخوص في نص الحكاية، ليضيف بعدها نوعا أخر من أنواع الشخصية ألا وهي الشخصية المتحولة، وتتصل هذه الأخيرة« بالشخصية الأسطورية»[17] التي تمتلك قابلية للتحول الجسماني بين حدث وآخر، ليختم هذا المستوى بدراسة الجوانب النمطية والمتكررة في متن حكايات "ألف ليلة وليلة".

لينتقل في المستوى الثالث الذي عنونه بتقنيات السرد في "ألف ليلة وليلة" بعد تصديره بجزء نظري وجيز حول السرد والسارد، ليلج في رصف تقنيات السرد المتمظهرة في حكايات "ألف ليلة وليلة" والمتمثلة في:صلة السرد بالوصف وأشكال السرد وتداخله في "ألف ليلة وليلة"، ليعرض لنا في المستوى الرابع الحيز في حكاية حمال بغداد، ثم ينتقل إلى الزمن في المستوى الخامس، أما المستوى السادس فخصصه للحديث عن بناء لغة السرد في الحكاية، وقفى دراسته بمستوى أخير قسم فيه مجريات الأحداث إلى مجموعة معاجم فنية، وأضاف الناقد عقب هذه الدراسة فهرسا للوصف، والإيقاع والتشبيه، والتضاد، وآخر للنصوص والشواهد.

4.المآخذ النظرية والتطبيقية للمنهج التكاملي:

يعد المنهج التكاملي كغيره من المناهج النقدية الحديثة التي تحاول فرض وجودها، سواء في الحقل الإجرائي أو التطبيقي، إلا أنه وقع كسائر المناهج في جملة من المآخذ التي حالت بينه وبين قراره على المنهج النقدي الثابت الواضح والبيّن ومن جملة المآخذ التي وقع فيها المنهج نذكر:

1.4.المآخذ النظرية:

يتشكل الإطار النظري لأي منهج من المناهج من مجموعة لبنات أساسية تشكل دعائم الحقل وتميزه عما سواه، ويعد المصطلح أول المرتكزات التي يحيّن بها المنهج إطاره النظري ويحدده، ولكن نظرا لاعتبارات كثيرة، ومنها الترجمة وقعت كثير من المناهج المعاصرة في براثن فوضى المصطلح، التي لم يسلم من كيدها المنهج التكاملي، فتعددت تسمياته في الحقل النظري «من ناقد لآخر، فهو المنهج التكاملي، أو المتكامل أو التركيبي أو المركب أو المتعدد أو المتكثر أو منهج اللا منهج أو من همج من لا منهج له »[18] ،وإذا تتبعنا بناء هذه التسميات المختلفة فإننا نلمس اتجاهين متوازيين متناقضين أحدهما يسلم بهذا المنهج واختار له مصطلحا دالا على الشمولية أو التركيب بين المناهج لتحليل النص وقراءته قراءة واسعة، تتعمق في جوانب تشكيله المختلفة، ومنهم من يستهزيء منه رافضا للفكرة التي ينبني عليه فيطلق عليه مصطلح منهج اللا منهج، أي أنه مجرد جمع لمجموعة من المناهج السابقة، وليس له طريقة خاصة للمقاربة، ثم إن « عملية المزج أو الجمع بين هذه المناهج مع المرونة النسبية في إيثار أحدها على الآخر، في هذا الموضوع أو ذاك ستفرض – في التحليل الأخير– الانتقاء والاقتطاف، ولا شك أن الانتقاء

والاقتطاف يعني تشتت المصادر وتعددها؛ أي يعني فقدان المنهج[19]كما يصرح الناقد شكري عزي ماضي في كتابه الموسوم بـ:"من إشكاليات النقد العربي الجديد.

بناء على هذا فإن ثاني المآزق النظرية التي وقع فيها هذا المنهج تعرضه لموجه معارضة عاتية من قبل الرافضين، فانقسم الحقل النظري بين مؤيد ومعارض، فمنهم من رفضوا التسليم بوجوده ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، كل من سعيد علوش في مقاله الموسوم بـ:" زمن المنهج الأدبي بين جلين" والمنشور في مجلة "الفكر العربي" وكذا جابر عصفور في التصريح الذي قدمه لجهاد فاضل في كتابه المعنون بـ:"أسئلة النقد" حيث أبدى جابر عصفور رأيه حول مسألة تكامل المناهج قائلا:«إنني لست مع الأخذ من كل مدرسة، فهذه تلفيقية تؤدي إلى الفوضى وتضارب المفاهيم، وأحيانا يكون وضع الناقد الذي يأخذ من كل شيء بطرف، أشبه بوضع جهاز الراديو الخرب، الذي يذيع عشر محطات إذاعية في نفس الوقت، ولن يكون هنالك سوى التشويش.»[20] والفوضى فلا يمكّن الناقد من تذوق متنه، وكشف جماله، والغوص في ثناياه، وإنما يظل حبيس القراءة المتعسفة التي تثقل كاهل النص بالتشريح والتحليل وتحميله بما لا طاقة له فيه.

على الرغم من الانتقادات التي هاجمت هذا المنهج إلا أن هناك كثير من النقاد الذين يحتفون به ممارسة وتنظيرا، فنجد الناقد حسام الخطيب في المؤلف نفسه يصرح عن رأيه حول منهج التكامل لتحليل الخطاب فيقول:«إن ميلي العام للنقد هو ميل تكاملي، وهذا ليس بنزعة توفيقية أو تلفيقية، ولكن مجرد قبولي أن النص كائن حي يعني أنني لا أطبق عليه زوايا حادة، وإلا فإنني أجرمه جرما كما يفعل الجزار»[21] وعلى الناقد أن يلم بين شكل النص و متنه دون إجحاف، أو تميز أحد منهما على الأخر.

كما أن هذا التكامل الذي يتحدث عنه المنتصرين له،يبقى أسير الغموض والتشكيك، فمنهم من يمزج بين منهجين اثنين مثل عبد المالك في كثير من مؤلفاته و محمد بنيس في مؤلفه الموسوم بـ:"ظاهرة الشعر العربي في المغرب–مقاربة بنيوية تكوينية–) ومنهم من يعده تكاملا بين مجموعة من الناهج تحيط بالنص من جميع جوانبه وتحلله تحليلا كاملا شموليا حسب اعتقادها.

2.4– المآخذ التطبيقية:

تؤوب هذه الدراسة واستنادا لما أورده الناقد في المنجزين النقديين "إلى دراسة المنهج التكاملي والمآخذ الإجرائية التي وقع فيها، أثناء ممارسته النقدية على النص الشعري "أين ليلاي لمحمد آل خليفة" و تحليله للمشهد السردي "لحكاية حمال بغداد،" وعلى الرغم من أن الناقد لا يعتمد على المنهج التكاملي، وإنما يشيد بمنهج شمولي كما ذكرنا سابقا، إلا أنه قد وقع في تناقض فكري عندما تحدث عن الكمال فقال: «وإذا كانت صفة الكمال، في البشر والأشياء أمرا عسير التحقيق فإن الغاية من كمالية التحليل الأدبي (القراءة النقدية) هي أن يوغل الساعي بعيدا، فيجوب مجاهل النص الشاسعة، ويطوف في أفاقها الواسعة؛ حتى تتعدد أمامه الزوايا وتتشعب أمامه الدروب وتتضح في ذهنه الرؤى»[22] وفي هذه الفقرة إعلان واضح وصريح من قبل الناقد على موافقته لانتهاج المنهج التكاملي.

أما ثاني المآخذ الإجرائية التي وقع فيها المنهج التكاملي فتتوقف على مستوى الممارسة، أي أنه لا يملك آليات إجرائية واضحة وبيّنة، وهذا ما أشار إليه الناقد عبد المالك مرتاض ولا نعلم إن كان ذلك مقصودا منه أو مجرد هفوة، ولكن إذا ما تتبعنا مسار التحليل في المنجزين النقديين فإننا نجده ينتهج في كل مرة مستويات معينة في التحليل والقراءة، وأنه يحرص على «تناول النص الأدبي تناولا مستوياتيا بحيث نسلط عليه الضياء [كما يقول] ما استطعنا تسليطه عليه ، من مستويات مختلفة، فندرس

النص مثلا، في مستوى بنية اللغة، ثم في المستوى التفكيكي، [...] ثم في مستوى الحيّز، ثم في مستوى تعامل النص مع الزمن، ثم في المستوى الإيقاعي[...] وعلى أن هذه المستويات قد تنقص عن هذه، كما تزيد»[23] أي أنها تتبدل من تحليل إلى تحليل آخر وهو ما يصعّب على النقاد انتهاج سمتا محددا في النقد والمقاربة فنجده قد صدّر تحليله لقصيدة أين ليلاي ببنية القصيدة عند محمد العيد آل خليفة، ومنه إلى بنية أين ليلاي، في حين صدّر تحليله "لحكاية حمال بغداد" بدراسة الحدث والشخصيات ثم ينتقل لدراسة الحيز والزمن والإيقاع.

5.خاتمة:

ختاما وبعد ما تقدم في هذه الورقة خلص البحث إلى جملة من النتائج والملاحظات نجملها في النقاط الآتية:

- أن النقد التكاملي رغم ما يشوبه من شكوك، استطاع أن يقدم دراسة شافية كافية تحليلية يعالج بها الناقد متن النص وجوهره، شريطة مراعاة مبدأ الموازنة بين النص والمنهج، ولا يتكلف في التحليل حتى لا يقوّل النص ما لم يقله، أو قتل الروح الجمالية فيه بالتركيز على الأطر الخارجة عنه.
- أسهمت الدراسة النقدية التي قدمها مرتاض من خلال النموذجين المنتخبين في ثراء التحليل النقدي في الصرح الجزائري والعربي عموما، حيث اجتهد الناقد في ابتداع جملة من المصطلحات التي مثلت غيما ماطرا خصب الحقل النظري والإجرائي على حد سواء.
- يعد المنهج النقدي سمتا يتخذه الناقد لسبر أغوار النص، محاولا التوفيق بين الشكل والمضمون وبين الأصالة والمعاصرة على الصعيد الإجرائي أو النظري أو أثناء التحليل.

6. مراجع البحث:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج11، دار صادر، بيروت، ط1، 1968.
2. إدغار موران، الفكر والمستقبل (مدخل إلى الفكر الركب)، (تر) محمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
3. جهاد فاضل، أسئلة النقد (حوارات مع النقد العرب)، الدار العربية للكتاب،(دب)، (دط)، (دت).
4. الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (تح) عبد الحميد هنداوي، (ج4)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
5. رائد جميل عكاشة وآخرون، التكامل المعرفي (أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن فيرجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2012.
6. صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني (أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها)، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها،(دب)،(دط)،(دت).
7. عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد)، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1993.
8. عبد الملك مرتاض، أ–ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمدالعيد آل خليفة)،ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1992.
9. فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي (مقدمات في المنهجية الإسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011.
10. محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر العربي الإسلامي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2013.
11. يوسف وغليسي، مناهج النقد لأدبي(مفاهيمها وأسسها تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية)، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007.

7 .الهوامش والإحالات:

1- ابن منظور، لسان العرب، مج11، دار صادر، بيروت، ط1، 1968ص239-243.
2 - الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (تح) عبد الحميد هنداوي، (ج4)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص47.
3- ابن منظور، لسان العرب، ص598.
4- محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر العربي الإسلامي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2013، ص82.
5- فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي (مقدمات في المنهجية الإسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011،ص48.
6- ينظر،صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني (أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها)، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها،(دب)،(دط)،(دت)، ص04.
7 - إدغار موران، الفكر والمستقبل (مدخل إلى الفكر الركب)، (تر) محمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص17.
8 - المرجع نفسه، ص102.
9- رائد جميل عكاشة وآخرون، التكامل المعرفي (أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن فيرجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2012، ص59.
10- يوسف وغليسي، مناهج النقد لأدبي(مفاهيمها وأسسها تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية)، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2007، ص.34
11- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد)، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1993، ص12.
12- لمصدر نفسه، ص10.
13- عبد الملك مرتاض، أ-ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمدالعيد آل خليفة)،ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، (دط)، 1992، ص12.
14- المصدر نفسه، ص ن.
15 - عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، ص12.
16- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ص12.
17 - عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد) ، ص66.
18- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص34.
19- المرجع نفسه، ص44.
20 - جهاد فاضل، أسئلة النقد (حوارات مع النقد العرب)، الدار العربية للكتاب،(دب)، (دط)، (دت)، ص70.
21- المرجع نفسه، ص104.
22 - عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة"، ص14.
23- المصدر نفسه، ص11.